وقد سبقه إلى التأليف فى هذا الباب : أبو جعفر بن الزبير فى البرهان، كما سمعنا عن أسرار التنزيل للفخر الرازى .

يصدِّر المؤلف السيوطى كتابه بقوله :

«فإن الله سبحانه ـ منّ علىّ بالنظر فى مواقع نجومه، وفتح لى أبواب النظر فيه إلى استخراج ما أودع فيه من علومه، فلا أزال أشرح النظر فى بساتين من نوع إلى نوع، وأستسْنح (أتأمل) الخاطر فى ميادينه، فيبلغ الغرض ويرجع وهو يقول : لاروع، فتقت (كشفت) عن أنواع علوية ولقبتها، وأودعت ما أوعيت منها فى دواوين ونقبت عن معادن معانيه وأبرزتها، وأوقدت عليها نار القريحة وميزتها، وألفت فى ذلك جامعًا مفردا، ومطنبا ومقصرا (أى مطيلاً، ومختصرًا) ومن خلق لشىء فإلى تيسره، ومن أحب شيئا أكثر من ذكره» .

ثم ينتقل إلى بيان أفانين هذا الكتاب وهى بضع عشرة نوعا هى :

ـ بيان مناسبات ترتيب سوره، وحكمة وضع كل سورة منها .

ـ بيان أن كل سورة شارحة لما أجمل فى السورة التى قبلها .

ـ وجه اعتلاق فاتحة الكتاب بخاتمة التى قبلها .

ـ مناسبة مطلع السورة للمقصد الذى سيقت له، وذلك براعة الاستهلال .

ـ مناسبة أوائل السور لأواخرها .

ـ مناسبات ترتيب آياته، واعتلاق بعضها ببعض، وارتباطها وتلاحمها وتناسقها .

ـ بيان أساليبه فى البلاغة، وتنويع خطاباته وسياقاته .

ـ بيان ما اشتمل عليه من المحسنات البديعية على كثرتها، كالتعريض، والالتفات، والتورية، والاستخدام، واللف والنشر، والطباق، والمقابلة والبيان كالاستعارة والكناية، وغير ذلك .

والمجاز بأنواعه، وأنواع الإيجاز والإطناب .